الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

الأقمشة بالنسبة له مثل الدواء تحتاج إلى عدة اختبارات قبل أن تخرج للنور

كوينتانا.. مصمم لاتيني يحلم بإعادة الزمن الجميل

لندن: جميلة حلفيشي

خوان كارلوس كوينتانا، اسم لمصمم شاب يشق طريقه بثبات ووضوح في عالم الموضة. عمل مع البريطانية كارولاين هولمز ثم جيني باكام وماثيو ويليامسون، قبل أن يستقل بماركته التي تحمل اسمه وكل أحلامه. أحلام يقول ملكته اللاتينية القوية، إنها بدأت منذ الصغر وتحديدا عندما كان عمره 12 سنة، بعد مشاهدته سلسلة مكسيكية كانت تبث آنذاك وتدور حول بيتين للأزياء. كانت هذه هي المرة الأولى التي يتعرف فيها على هذه المهنة ويعرف بوجودها، كما يقول. شوقته أجواء المنافسة والصراعات كما سحرته قدرة هذا العالم على الإبداع والخيال، وهكذا قرر أن يصبح جزءاً منه بأي ثمن، حتى وإن كلفه الأمر الدخول في صراع كبير مع أسرته من أجلها، وبالذات مع والده المهندس الصناعي، الذي كان يريده أن يمشي على خطاه على أساس أن الموضة لا تغني من جوع. لكن بعد أن رأى هذا الأخير تصميمه خضع لرغبته وقدم له الدعم على شرط أن يدرس الموضة ويعود إلى بلده. وهذا ما كان، فبعد ثلاث سنوات ونصف في المكسيك، عاد كوانتانا بشهادته وخبرته، إلى مسقط رأسه غواتيمالا ليفتتح داره الخاصة به، مسوقا أزياءه من باب الخصوصية والرقي، الذي يخاطب المرأة التي تعبث من المستنسخ لدى بيوت الأزياء العالمية. وسرعان ما أصبحت سيدات المجتمع المخملي في غواتيمالا، يعرفنه ويلجأن إليه للحصول على تصميمات مميزة عندما لا يسعفهن الحظ بالسفر إلى باريس أو نيويورك. بعد فترة، دفعته فورة الشباب والطموح إلى شد الرحال إلى لندن، فهي العاصمة التي تحتضن الإبداع والمصممين الصاعدين، لكنه لم ينس أصله وبداياته، فهو يقول، إن خيوط الود متواصلة بينه وبين زبوناته القديمات «فهن لا يزلن يطلبن تصميماتي، وعلى الأخرى لأخذ مقاسات جديدة، خصوصا في مواسم الأفراح والأعراس. فمع الوقت أصبحنا نعرف بعض جيداً».

وهو يتحدث تشعر بدفء سكان أميركا اللاتينية وحماسهم الذي ينبعث من ملامحه السمراء وحركات جسمه الصغير والمصقول نتيجة ساعات في النادي الرياضي. ما يشدك في حديثه، والعهدة، فهو يعرف أنه لن يرقى لمرتبة دور الأزياء الكبيرة التي لها إمكانيات هائلة يمكن أن توظفها لطرح عدة تشكيلات في مواسم مختلفة ومتعددة، لذلك يقول إنه يريد التركيز على الأهم: الجودة والتصميم المتميز الذي قد يخاطب حفنة من الزبونات، لكنها حفنة من العارفات اللواتي يتفاعلن معه ومع تصميماته ويمنحنه الثقة بنفسه وبشجعنه على التفرد والاستقلالية. يقول «من التنازلات التي لا أحب أن اضطر إليها أبدا، الانضواء تحت راية مجموعة كبيرة. فأنا لا أريد أن أصبح ماركة تجارية، وأفضل أن أبقى اسما مخبوءا لا يعرفه سوى شريحة تريد التميز، بمعنى أن أصمم حوالي 100 فستان فقط، لكن كل تصميم منها يطير بالتميز والتفرد، فالهم بالنسبة لي أن أخطي هذه المجموعة تكاليف الإنتاج واحتياجاتي الشخصية حتى أعيش حياة كريمة، رغم أني أعرف أن العملية صعبة جدا من الناحية التجارية. لكني في الأخير أؤمن أن المرء يجب أن يحقق أحلامه ويعيش حياته في الوقت ذاته، وهو ما قد لا أستطيع تحقيقه في حال توسعت كثيرا».

يعرف كوانتانا أنه في بداية الطريق، وأنه لن يستطيع القيام بحملات ترويجية أو دفع تكاليف الإعلانات، لكنه يعي أن الجودة تروج لنفسها ويعتمد عليها: «فعندما أقدم لزبونة فستانا رائعا، فهو حتما سيغرض نفسه ويروج لمصممه بطريقة غير مباشرة. المشكلة الوحيدة هنا، التي تخيفني أن بعض الزبونات لا يقلن البوح باسم المصمم حتى يبقى سرا خاصا بهن. وفي الحالات الأسوأ لأنهن يردن التباهي بالتصميم على أنه من باريس أو من أي مكان آخر. وهذا الأمر قد يخدم كبريائهن، لكنه لا يخدم المصمم إذا كان مثلي يعتمد على هذه التركيبات».

والعهدة تشمل أيضا معرفته بما تريده المرأة، شابة كانت أم ناضجة. فالصغيرة تحب أن تجرب كل صرعات الموضة وموجاتها، وبالتالي لا تتميز بالوفاء لمصمم واحد، على العكس من الناضجة، التي يكون أسلوبها قد تبلور، وبالتالي أصبحت تعرف ما تريد تماما، وهذا ما يحبه.

«أعشق المرأة الناضجة عندما تبلغ الأربعين، لأني أراها مكتملة الأنوثة والشخصية، ومتصالحة مع نفسها، كما أنها واثقة تعرف ما تريد. هذه هي المرأة التي أفضل أن تلبس تصميماتي أكثر من أي نجمة لا تشعر معي بالقطعة. عندما أنكب على تصميم أي فستان، فإني أفكر في هذه النوعية من النساء وما تحتاجه: كيف تمشي وتتحرك، كيف تفكر وكيف تريد أن تخلف انطباعا إيجابيا وساحرا. وحتى عندما أراها تختار أي فستان لشعر بأن هناك كيميا عجيبة بيننا وبينه». يعترف كوانتانا أنه يعرف قدر نفسه كما يعرف مكانته، وما يمكن أن يحقق، لكنه يعترف أيضا أنه رومانسي، يحن كثيرا إلى زمن ماض وجميل، زمن كانت فيه الموضة في قمتها، وبالذات في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي، عندما كانت «الهوت كوتير» أكثر تفردا مقارنة بوقتنا الحالي حيث أصبح كل شيء يخضع لمعايير تجارية. كانت المرأة في ذلك الوقت تستطيع أن تذهب إلى أي بيت أزياء وتطلب من المصمم أن يبدع لها أي قطعة تريد. وهذا ما أريد أن أوفره لزبوناتي، تلك العلاقة الحميمة بين المصمم والزبونة، وأعتقد أن هذا ما باتت المرأة تريده وتبحث عنه أيضا. فقد ضاقت ذرعا من سيطرة الجانب التجاري وتشابه الكثير من التصميمات، وأصبحت تريد الخصوصية وزادت هذه الرغبة في الآونة الأخيرة مع الأزمة المالية العالمية. لهذا أعتقد أن الأزمة قد تكون أضرت بالمؤسسات الكبيرة، لكنها تخدم دور الأزياء الصغيرة مثلي، لأنك إذا كنت تستطيع أن تبدأ من الصفر، فأنت بالتأكيد تستطيع أن تنمو وتطور نفسك. وبرأيي، فإن الأزمات تشحذ الأفكار وتحفز على إعطاء الجديد والجيد، لأنه لديك وقت للتفكير والإبداع عوض الركض من عرض إلى آخر خصوصا وأن المواسم تقاربت وأصبح على المصمم أن يقدم عدة تشكيلات مختلفة في فترات قصيرة، مما يترتب عنه الاستعانة بالصين والهند وغيرها. فالسرعة بالنسبة لبيوت الأزياء الكبيرة، عنصر مهم والوقت فيها لا يرحم، ويكون هذا على حساب التميز في بعض الأحيان، لتكون النتيجة موضة مستنسخة ومتشابهة في الكثير من خطوطها ومعالمها. الأزمة لا بد وأن تغير من طريقة تفكيرنا وتعاملنا مع الموضة والأولويات. فالأولوية الآن، باعتقادي، هي للجودة والاستثمار البعيد المدى. والعملية، بالنسبة للمرأة ليست في التصميم نفسه، بل كيف يمكن أن تبحث عنه وتجده.

الزائر إلى معمله في منطقة «شورديتش» بلندن، يلاحظ أن الألوان التي يستعملها تتميز بهدوء يتناقض مع أي فكرة مسبقة يمكن أن تخطر بالبال عن مصمم ينحدر من أصول لاتينية. لكن كوينتانا يسارع بالتأكيد، وكأنه يخفي تهمة عن نفسه، أنه متشرب بثقافة أميركا اللاتينية وأن رومانسيتها والوانها موجودة أحيانا في تطريزات خفيفة تتميز بغرزات دقيقة تنفذها خياطات ماهرات باليد، وألوان تشي بجذوره وحبه للشمس. مشيرا إلى أن أسلوبه الرومانسي أيضا عالمي، لأن الألوان ليست كل شيء بالنسبة له، وأن هناك الأقمشة لها دور مهم بالنسبة له «فهي، مثل الدواء تحتاج إلى عدة اختبارات قبل أن تخرج للنور على شكل قطعة تختال بها المرأة»، وبالتالي قد يوحي له ملمسها بتصميم معين يحفزه على تطويعها وصياغتها بشكل رائع. وهي أهمية يعترف أنه تعلمها من المصممة جيني باكام، التي علمته أن مركز في كل تشكيلاته على 4 أو 5 أنواع من الأقمشة فقط، يعطيها عدة أبعاد.

مجموعة من إبداعاته

المصمم العالمي مارك جايكوبس في لقاء خاص بمجلة الرجل

• أعشق زواج الفن بالموضة. وتذكرني بتلك التي كانت في عصر الما شيا باريلي وكوكو شانيل

• فلسفتي تتمثل في الاحتفاء بالماضي والعيش في الحاضر

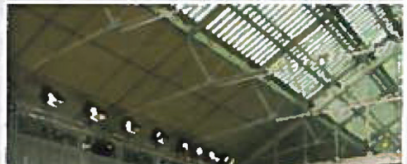

في هذا العدد من الرجل ...

■ مخطوطات قرآنية محفوظة لدى عوائل أوروبية

■ المهندس اللبناني رودي عجيل: لا تكن سلبيا في أفكارك.. بل مرنا في التعامل مع التصاميم الخلاقة

■ السكري.. استقراره يتطلب علاجا طبيا ونظاما غذائيا خاصا

• أحدى أفضل طرق النقد البناء التي